مشهد

اتذكّر وجه الشهيد
إيهاب بركات وخيوط
الدم على وجهه النضر،
وهُم يزفّونه بالقرب
من بيوتنا، واتذكّر جنازة
استاذنا الشهيد يوسف
الخريب، وقد انتهى للتوّ
من تدريسنا تاريخ مصر،
وذهب الى خيمة شهيد
آخر لاداء واجب العزاء
عند «ملعب برقة»
حيثُ ارتقى

عاطف الشاعر

هنالكَ حيث كنتُ يوماً ألعب بطائرة ورقية

مع حَيّ السلام في رفح

تتكرّرُ الفواجع وأسمع أنّ القصف الإسرائيلي الأخير في رفح يتركّز على منطقة حيّ السلام. وحيُّ السلام هو موطني وموطنُ أهلي وعائلتي وعائلات كثيرة، الشاعر، وابو لبدة، وبهلول، وزنون، وقشطة، والعرجا، وعبد العال، والترابين، وابو جليدان، وعويص، وبارود، واللولو، وبركات، وأبو مرّ... وأعتقد أنّ عائلة الشاعر هي أكبر عائلة في تلك المنطقة.

إنّه لشيء مزلزل أن تعود الذاكرة بي إلى طفولتي هناك في ظلّ الظرف الملحمي الحالي. هناك حيث كنتُ يوماً ألهو بطائرة ورقية، وفجأة انقضّ عليَّ جنودُ إسرائيليّون خلال الانتفاضة الأولى، وقاموا بركلي وضربي، ثمّ هربت باعجوبة. أتذكّر العدد الكبير من الجنود المدجّجين بالسلاح، وملابسهم التي تُشبه الرعب الذي فُطرت عليه قلوبهم، فقد تربّوا على إرهاب الآخرين الفلسطينيّين، وصارت وجوههم وأجسادهم قوالب إرهاب ورعب، ووجوههم غريبة، لا تشبه الأرض التي يمشون عليها، ولا السماء الزرقاء بشمسها المتوهّجة في الفضاء، والتي تُشعل أجسادنا حُبّاً لأهلنا ولحارتنا ولكلّ ما حولنا. أتذكّرُ نظرة أحدهم، ونحافته وهو يركلني، وأنا أتلوّى لأحمي نفسي من ضربة قد تصيب وجهي وعيني، وأتذكّر كلمة «ليخ من هون»، أي "اذهب من هنا"، وسؤال الألم في جسدي آنذاك: «كيف اذهب وأنت تطرحني أرضاً وتركلني يميناً وشمالاً بلا رحمة، أيها الشرير؟!». «ليخ من هون» إنها حماقة وغطرسة الجبناء، يريدون طردنا من بيوتنا وهُم لمْ من أصقاع الدنيا، دخلاء على أرض لا تشبه وجوههم، ولا عاداتهم، ولا نظراتهم، ولا ملابسهم وسلاحهم، ولا طعامهم، ولا لغتهم القادمة من ماضٍ لم يعدْ يناسب أحداً.

أتذكّر وأخشى أن أكرّر نفسي في ما أكتب على هذه الصفحات، لكنّ التكرار - وهنا أتّكئ على ما ذهب إليه إدوارد سعيد في أحد مقالاته المضيئة - هو قصّة الإنسانية التي تتكرّر في العائلة، وفي السرديات المختلفة، وفي مشاعر الإنسان، وفي اللغة. وهنا هو، أيضاً، حالة فلسطينية مأساوية، تتكرّر معالمها، وتستفحل مواجعها بطريقة تجعل اللغة أسيرة الحفر في المشاهد والظروف والأوضاع، والحفر في المشاعر التي تولّدها شرور الاحتلال الإسرائيلي الأكثر بشاعة وقهراً في الزمن البالي الحديث.

أتذكّر وجه الشهيد إيهاب بركات وخيوط الدم على وجهه النضر، وهم يزفّونه بالقرب من بيوتنا، وأتذكّر جنازة أستاذنا الشهيد يوسف الغريب، وقد انتهى للتوّ من تدريسنا تاريخ مصر، وذهب إلى خيمة شهيد آخر (ظافر أبو مذكور) لأداء واجب العزاء عند «ملعب برقة» حيثُ ارتقى. أتذكّر الشهداء والجرحى، ونفسي بينهم مجروحة، وأتذكّر جُرحي من رصاصة لا أعرف مصدرها استقرّت في كاحل قدمي اليمنى وكثرت القصص حولها، وها هي ثلاثون سنة بعد الحادث تُطل لتُنذر بألّا حلّ لما تركته هذه الحادثة من أثر بنيوي في القدم اليمنى. تفصيل صغير آخر لأقول إنّ في جسدي رعشة، وفي نفسي بانوراما أسمّ على حارتي. سمعتُ صوتاً من هناك يقول بعد أن نفّذت الطائرات الإسرائيلية حزاماً نارياً على الحارة "الحارة دمار، دمار، دمار يا أولاد»... وبعد كلّ دمار تأتي التقارير من الجيران "دار بهلول، وأبو لبدة، ودار عمّك منصور طاحت، وعمّك حيدر، وعمّك إسماعيل، وابن عمّك زكي، وابن خالتك أبو حسن، ودار ابن العمّ أبو رامي، وابن العمّ أمين زويد، كلّها طاحت، ودار أخوك محمد فيها قذايف، ودار ودار... ». كلّ هذه الأهوال من خمس إلى ستّ دقائق من القصف العشوائي المتواصل على حارة كاملة في الأيام الأولى من دخول رفح.

ثمّ تأتي فاجعة أخرى من استشهاد أبناء العمومة، أبناء عوّاد الشاعر، ثلاثة شباب إخوه وعمّهم جلال الشاعر أيضاً، وهناك مفقودون لا نعرف مصيرهم. يستشهدُ هؤلاء الشبّان لأنّهم كانوا يريدون أن يتفقّدوا مصائر بيوتهم المهدّمة وينقذوا ما يمكن إنقاذه من بيوتهم لتساعدهم في رحلة العذاب الجديدة في أماكن لجوئهم في منطقة المواصي.

ويستمرّ شريط المأساة مع الخبر اللاحق: «ثمانون بالمائة من الحارة طاحت»، هذه آخر نسبة وردت من ابن أخي: إنّ من يعرف هذه الحارة الكبيرة وعمائرها وعزّة أهلها في ما شيّدوه من بنايات جميلة، غالباً ما تكون قريبة من حقول زيتون أو حمضيات، أو شجرة نخيل هنا وهناك، يُصاب بالدوار من حجم المأساة وتواليها.

يقول الطفل الذي كان يسرح في هذه الحقول في مواسم الحصاد وغيرها: «كيف حال الأشجار والنباتات في الحقول وهي مسرح بارود وحمم صواريخ تُرمى عليها ليل نهار؟ كيف حال الديوك والقطط والكلاب التي كانت تسرح وتمرح في الحارة؟ هل ما زالت هناك طيور الكركيّ، والخدادر والحساسين؟ ما تبقّى هناك من المخلوقات التي تغنّي نهاراً؟ هل خفتَ هديلُ الحمام الذي يعطي خلفية رائعة لنوم الظهيرة؟ كيف حال النجوم وهي تتلألأ في السماء؟ هل حجبها الدخان؟ هل مات الهدوء أيضاً في هذه المنطقة التي تُسمّى حيّ السلام، وهو حيّ كبير نسبياً يمتدّ من معبر رفح حتى منطقة البرازيل؟ هل تندبُ حظّها؟ لكلّ شيء من اسمه نصيب، أين حظّك الآن يا حيّ السلام؟

هذه أسئلة يطرحها كلّ أهالي غزّة عن حاراتهم وبيوتهم، وهم أهل حياة، وجوههم وهم يدبكون في أعراسهم، وهم يخشعون في صلواتهم، وهم يضربون أعداءهم، وهم يصنعون المعجزات بأجسادهم النحيلة ووجوههم العالية، وبلاغة أطفالهم وهم يدقون الطبل، يرقصون وينكتون، وهم يخافون، وهم يشعلون في أجسادنا الدموع والحسرات خوفاً عليهم.

سابتذلّ لو قلت: متى سيعود السلام إلى «حيّ السلام؟»، فذاك سؤالٌ يسأله كلّ أهل غزّة. تبتعد الآفاق عنّا، وتدبّ بنا الحيرة بعد فقدان الأحبة، والشوق للأهل والخوف عليهم، وخراب البيوت.

أرى لهيباً من نار يصدر من صدر الدبّابات التي يستهدفها المقاومون. هل هذا لهيب أملٍ؟ إنّه السؤال. هل هذا مصدر الأمل الوحيد في هذا الظلام الدامس؟

(كاتب وأكاديمي فلسطيني مقيم في لندن)

طفلان فلسطينيان يشاهدان الغارات الإسرائيلية على شرق رفح جنوبي غزّة، 13 أيار/ مايو 2024 (Getty)

بين شوارعك وبيوتك

أنى موزّعٌ بين مزارعك وبيوتك وشوارعك وكلام رجالك وقصص نسائك، والمواقف مع اطفالك، والكرة على ارجل شبابك وهي تُركل للاعالي وتعود على صدر بصوّبها نحو المرمى، وموسم قطف الزيتون الاخضر والاسود، وغداء السملك في بيت اخي عادل ابو عبد الله وزوجته نجوى ام عبد الله، وصدى اذان الفجر بصوت خالي عوّاد الشاعر، واذان الظهر الصاعد من روح ابن اخي خالد الشاعر: «حيّ على الصلاة... حيّ على الفلاح... الله اكبر... الله اكبر».

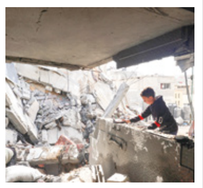

صوت جديد

جيل محبط في الظاهر، ثوري في داخله

أحمد لطفي

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح الجيل العربي الجديد من الكتّاب وانشغالاته

القاهرة ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

من بعد السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، توقّفتُ تماماً عن الكتابة. جرّبت حينها «حبسة الكاتب» التي طالما تنذّرتُ عليها. لا أعلم السبب بالضبط، كنتُ أرى القذائف تتوالى فوق إخوتنا وأنا أمام التلفاز عاجز. توقّفتُ عن متابعة التلفاز تماماً، ثمّ - على غفلة منّي - يأتيني فيديو لطفل اجتمع في عينيه الخوف والحيرة، وماذا حدث؟ بكيتُ وازداد إحساسي بالعجز إذ لا أقوى على مدّ يدي من خلال الشاشة لأقول له لا تخف. ثم لِمَا رجعت إلى الكتابة بعدها، رجعتُ بنفْس المسؤولية الجمعية. لذا أقول إنّي مدينٌ لغزّة، إذ لا أحتمل أن أقف مع الجانب الجبان من التاريخ.

■ كيف تفهم الكتابة الجديدة؟

كلّ كتابة هي تعبيرٌ عن مجتمعها، لغته وهمومه، والجديد في الكتابة من وجهة نظري، هو الجديد في المجتمع الذي يرفع بعضاً ويُخفض آخر. وكلّ جديد، مهما كان، لهُ سَلَف إلّا إن ظهر إنسان جديد غير الذي نعرفه.

■ هل تشعر في نفسك أنك جزء من جيل أدبي له ملامحه، وما هي هذه الملامح؟

قديماً لم أكن مقتنعاً بفكرة المُجايَلة حتى كتبتُ مجموعتي القصصية الثانية «رأيت البحر» التي حاولت فيها توثيق هموم جيل «Y» في مصر؛ ذلك الجيل الذي وعى على الدنيا بحضور الثورة، ثم هو يتعامل مع العالم بثوريته الداخلية وإحباطه الظاهر. هذه ثيمة هذا الجيل كُتّاباً كانوا أم قرّاءً، ينحتون الصخر ولا يجدون الماء، أو كما صغت في عنوان الكتاب، جيلٌ يُحاول أن يرى البحر.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

أشعر دائماً بعبء إكمال الطريق، لا أزعم أنّي مُهمّ للغاية، لكن حين أكتب قصصاً تاريخية مثل «الوحل والنجوم» ففي خلفيّتي ما كتب أستاذنا محمد المنسي قنديل، وأسعى لأكون خطوة جديدة في المسار الذي شكّل فيه خطوة بدوره. كذلك أرى أن علينا الوقوف على منجز أساتذتنا من الأجيال السابقة خاصة من عصر النهضة، الشدياق والبازجي وطه حسين.. إلخ. أرى أنه لا بدّ للكاتب أن يُدرك موضع قدمه ممّن سبقه من «الأصلاء».

■ كيف تصف علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

بصراحة لا أجد ما يُمكن توصيفه بـ«البيئة الثقافية»، إذ كلّ شيءٍ عشوائيّ بقدر ما. أين البيئة النقدية المُنظّمة؟ أين الناشرون العاملون باحترافية؟ لو استطاع الكاتب نشر كتابه - بعد توصية - فلن يجد الناشر متحمّساً لصُنع غلافٍ جيّد أو تنسيق داخلي مُحترم، ولو كان حسن الحظّ مثلي بناشر جيّد، فلن يحظى بتقديم جيّد أو نقد للكتاب. وأقول إنّ الكُتّاب غير النشطين على وسائل التواصل، محكومٌ عليهم بالإعدام، فلو نُشر لن يُنقّد، ولو نُقد لن يُقرأ، ولو قُرئ مرّة فلن يُنشر له الثانية حتى يُقرأ من جديد، ثم بعد كلّ ذلك لن يحظى بعائدٍ مادّي يكفيه وحده، فضلاً عمّن يعُول. هذا، غير مشكلات أخرى كالعمل في غير الصحافة. فعملي طبيباً يُبعدني عن دائرة الكُتّاب والنقّاد، فمثلاً كتابي الذي رُشّح لـ«جائزة الشيخ زايد» لم يُكتب عنه أيّ عرض أو نقد أو مراجعة في أيّ صحيفة إلكترونية أو ورقية. لا أحبّ دور الضحيّة فلست مقصوداً بالإهمال طبعاً، لكنها العشوائيّة كما ذكرت.

■ كيف صدر كتابك الأول وكم كان عمرك؟

كان بيني وبين الأستاذ أحمد الديب، الكاتب السكندري صاحب «حكايات بعد النوم»، بعض المُراسلات منذ 2018، حتى قرّر من تلقاء نفسه أن يتوسّط لي، على غير عادته، عند دار نشر «عصير الكتب»، فنشرتْ معهم كتابي الأوّل «الوحل والنجوم» عام 2022. كان عمري وقتها ستّة وعشرين عاماً.

■ أين تنشر؟

قبي ما يخص الكتب فلا أنتمي إلى دار نشر معيّنة، نشرتُ «الوحل والنجوم» مع «عصير الكتب» ثمّ «رأيت البحر» مع «كتوبيا»، وقد يكون الكتاب القادم في دار نشر جديدة. وهذا التنوّع يرجع في الأساس إلى نوع الكتاب، فحتى اليوم كان حظّي جيّداً مع الناشرين الذين عملت معهم. غير ذلك انشر على حسابي في فيسبوك. نشرتُ قبل ذلك في مواقع إلكترونية معروفة، لكنّ المواضيع التي نشرتها في تلك المواقع لم تحظَ بأيّ مردود معنوي، إذ تحتاج إلى اسم معروف ليُقرأ فاكتفيت بصفحتي على فيسبوك.

■ كيف تقرأ وكيف تصف علاقتك بالقراءة: منهجية، مخططة، عفوية، عشوائية؟

كُنتُ عشوائياً حتى انقطعتُ فترة طويلة عن القراءة في امتحانات العامين الأخيرين من الكلية. عدتُ بعدهما أكثر تنظيماً فلا أميل إلى الكتب «الترينديّة» أو حتى المشهورة بجودتها، لكنّها خارج دائرة اهتماماتي. صرتُ أكثر ميلاً إلى التخطيط، سواء كان في المجالات التي أنوي الاستزادة المعرفية فيها، أو في الكتب اللّازمة للمشاريع التي أعمل عليها. كانت الثمرة العُظمى للتخطيط، اكتشافي لـ«الدراسات الأكاديمية» التي صارت جزءاً كبيراً من قراءاتي الدورية.

■ هل تقرأ بلغة أخرى إلى جانب العربية؟

إلى جانب العربية، أقرأ بالإنكليزية، وقد ترجمتُ عنها بعض المقالات، بالإضافة إلى كتابين في طور الترجمة.

■ كيف تنظر إلى الترجمة وهل لديك رغبة في أن تُترجَم أعمالك؟

منتهى أمل الكُتّاب أن يُقرؤوا ويلقوا النقد اللازم للتطوّر الفكري والقلمي. ولو لم تقم الترجمة إلّا بذلك لكفاها. لكن، وبمنتهى الصراحة، حين عرفتُ أنّ إحدى دور النشر البرازيلية تعاقدت على ترجمة كتابي «الوحل والنجوم» للبرتغالية، شعرتُ بالخجل. قلتُ لنفسي أول الأمر: لا تستحقّ. لكنّني رجعتُ وقلت: ربّما يقرأ برازيليٌّ أسمر عانى العُنصرية قصّة السُّليك بن السلكة فيتأثّر أو يشعر بالاتّحاد معه. رجعتُ لأقول لنفسي: ربّما تستحقّ!

■ ماذا تكتب الآن وما هو إصدارك القادم؟

انتهيتُ من كتاب تحت تصنيف «المجاوِيّة» عن عام قضيته في أسوان، أحكي فيها أبرز «ما جرى» في مزج بين النثر والشعر. هذا بالإضافة إلى رواية لم تستقم لي حتى الآن، وأمل أن ترضى عنّي شخوصها قريباً.

أحمد لطفي

تهيمن العشوائية على بيئة الثقافة في النشر والنقد والقراءة

بطاقة

قاصّ وطبيب أطفال مصري من مواليد عام 1996. له مجموعتان قصصيّتان: «الوحل والنجوم» (2022)، و«رأيتُ البحر» الصادرة هذا العام.

قصائد

ربّما يتبعني كظلّي الحزنُ المهذّب

على باب مدينة النهار

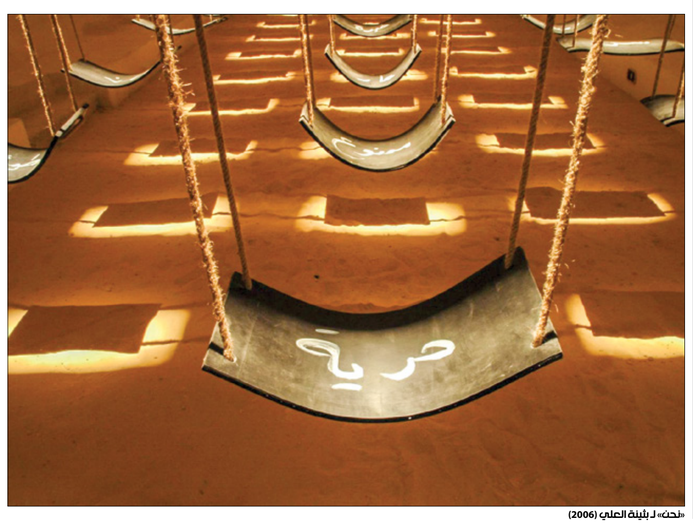

«نحت» لـ بلينة العلي (2006)

فادي ابو ديب

1

وهكذا
- سيداتي آنساتي سادتي-
يظهر واضحاً للعيان
الجذر المتعفّن
لشجرة هذا العالم
وينكشف غطاء الهاوية
عن الثغر السحيق
بطن الخلق
الذي ينبض ولا يقول
تعالوا يا مَن لا تخافون التحديق
إلى القعر الذي لا قرار له
تعالوا وانظروا...
لأنّ منه تنفجر أغصان شجرة النهار
الجديد
تتعالى كبركان وُلد للتوّ
وتتعلق كمعجزة
لم تكونوا لتصدّقوا أخبارها.

2

حلوُ المنام
الذي رسمت خريطته على جبينك
وعويص اسم المدينة الحوشيّة
التي تصفينها ولا تسمّينها
وتقولين إنّ ألوان أبوابها
كألوان الشيء حين لا يُسمّى
جدران زيتيّة
أحسّها كما لو كانت مَبنيةً من لحمي
هل أخمّن أنّها البصرة
يوم كان بحرها منتهى العالم؟
أول الشّعر الذي اكتسب زرقته من غسق
المياه
تقولين إنّها موئل الهدير في بيضة
تكوينه
وأسطورة الأقوام التي ارتحلت ثم حلّت
وتنفّست الصعداء
ضوءٌ على ضوء، أقول
توقٌ من الحوانيت الليلية التي تُغلق معاً
لأجل الصلاة أمام مستودع المياه الجبارة
ومن عيون البنات الناسجات من حمرة
المغيب
قماشاً دموياً يلفّعن به الحبيب المشتهى
تقولين إنّها بيت الرفاد
حين يشبه النومُ مملكة سانحة
وبيت اليقظة
حين يشبه القيام عيداً يتكرّر كلّ يوم.
هل أخمّن أنّها البصرة
حين كانت الشمس تنام تحت المياه
وكان العالم خرافةً تُكتب أوائلها؟

3

شحرور الغسق
الصوتُ الواحد في غيهب الغابة
الأغنية البطيئة
التي كلّما تكرّرت صارت أجمل
أصغ أيّها الإنسان إلى لحن العُزلة
إلى إغلاقة الباب وبقائك وحيداً في البهو
الساطع
إلى الصدى الذي يدعوك للتفرّس في
المدينة البعيدة
في الوجهِ الواحد الذي في كلّ الوجوه
وإلى المتنوّع بلا كثرة
ها هي الأغنية تتردّد كل صيف
وما أحلى النّغم المُعاد!
نُغَمٌ لعشاءات كثيرة في مدينة واحدة
ألا يكون الكل إذن على مادبةٍ واحدة؟
شحرور الغسق معي في جميع المدن
يرسل صوته المدوّر نحو بقية الشمس
كرةً في إثر كرة
تحمل فيض العالم
مياه تتقاطر كصوت الندى في بساتين
الفردوس
لهذا ربّما يتبعني كظلّي الحزنُ المهذب
لأنني أكاد أفهم...
ولا أفهم
حزني لا يشاغب
لا يرفع صوته
بل ينزوي ويطلب ما يريد:
أن أدلّه على بابِ مدينة النهار-
حيث لا يموت الرفاق
أن أضع يدي بيده-
لنكتشفَ معاً
سرّ فاكهة المرح.

(شاعر وكاتب سوري مقيم في السويد)

فعاليات

ضمن سلسلة **حول الموسيقى** التي تُنظّمها مبادرة «العتبة»، تستضيف «مؤسّسة القطّان» في رام الله، عند السابعة والنصف من مساء الثالث عشر من الشهر المقبل، الفنّانة الفلسطينية **كاميليا جبران** في حوار حول تجربتها الموسيقية التي بدأتها مغنّيةً وعازفة قانون في «فرقة صابرين»، قبل أن تنتقل إلى أوروبا عام 2002.

ما تُقدّمه فلسطين للعالم عنوان معرض افتتح الجمعة الماضي في «المعهد الفرنسي» بتونس العاصمة ويستمرّ حتى 28 حزيران/ يونيو المُقبل بتنظيم من «معهد العالم العربي» في باريس. يضع المعرض صوراً عن فلسطين تعود إلى القرن 19 في مقابل أُخرى مُعاصرة تعكس الحياة اليومية للفلسطينيّين في الضفّة الغربية وقطاع غزّة حتى 2021.

يحتضن فضاء «جدل للمعرفة والثقافة» في عمّان، عند السابعة والنصف من مساء اليوم، امسية تفاعلية بالتعاون مع شبكة «حكايا»، بعنوان **حكايا فلسطينية** من تقديم الحكواتيّين الفلسطينيّين **هبة سعيدة** و**حمزة العقرباوي**. تكتب سعيدة في حقل ادب الاطفال واليافعين، ويهتمّ العقرباوي بجمع وتوثيق الموروث الشعبي.

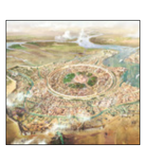

بغداد: إعادة اكتشاف مدينة السلام عنوان معرض يستضيفه «معهد العالم العربي» في باريس حتى العاشر من تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل. يقترب المعرض من عاصمة الخلافة العبّاسية التي تأسّست عام 750م من خلال قطع أثرية وديكورات أُعيد تركيبها عبر لعبة فيديو، بالاستناد إلى المعلومات المتوفّرة عن المدينة.